البَابُ التّاسِعَ عَشَرَ

فِي الفَرْقِ بَيْنَ الثَّوابِ والعِوَضِ، وبَيْنَ العِوَضِ والبَدَلِ، وبَيْنَ القِيمَةِ والثَّمنِ، والفَرْقُ بَيْنَ مَا يُخَالِفُ الثَّوابَ مِنَ العِقَابِ والعَذَابِ والألمِ والوَجَعِ ومَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ

«الفرق» بَيْنَ الثَّوابِ والعَوْضِ أنَّ العَوْضَ يكونُ على فِعْلِ العوضِ، والثوابُ لا يكون على فِعْلِ المُثيبِ وأصله المرجوعُ وهو ما يرجعُ إليه العاملُ، والثوابُ من الله تعالى نعيمٌ يقع على وجْه الإجْلالِ وليس كذلك العوض لأنه يستحق بالألم فقط وهو مثامنةٌ من غير تعظيم فالثواب يقع على جهة المكافأة على الحقوق والعَوْضُ [1] يقعُ على جهة المثامنة في البيوع.

«الفرق» بين الثَّوابِ والأَجْرِ، أنَّ الأَجْرَ يكون قبلَ الفعل المأجورِ عليه، والشَّاهدُ أنك تقولُ ما أعملُ حتى آخذ أجْري ولا تقولُ لا أعملُ حتَّى آخُذَ ثوابي، لأن الثَّوابَ لا يكون إلا بعد العَمل على ما ذكرنا، هذا على أنَّ الأجْرَ لا يستحقُّ له إلا بعد العمل كالثَّوابِ، إلَّا أنَّ الاسْتِعْمالَ يجري بما ذكرناه، وأيضًا فإنَّ الثَّوابَ قد شَهرَ في الجزاء على الحسنات، والأجْرُ يقال في هذا المعنى ويقال على معنى الأُجْرَةِ التي هي من طريق المُثامنَة بأدنى الأثْمانِ وفيها معنى المُعاوضَةِ بالانتفاعِ.

«الفرق» بين العِوضِ والبَدَلِ أن العِوضَ ما تعقب به الشيء على جهة المثامنة تقول: هذا الدرهم عوَض من خاتمك وهذا الدينار عِوضٌ من ثوبك ولهذا يُسَمَّى ما يعطي الله الأطفال على إيلامه إياهم أعْواضًا، والبَدَلُ ما يقام مقامه ويوقع موقعه على جهة التعاقب دون المثَامنة، ألا ترى أنك تقول لمنْ أساءَ إلى مَنْ أحْسَرَ إليه أنه بَدَّلَ نعمتَهُ كُفْرًا لأنه أقام الكُفْرَ مقام الشُّكْرِ؟ فلا تقول عَوَّضهُ كُفْرًا لأن معنى المثامنة لا يصح في ذلك، ويجوز أن يقال العِوضُ هو البدلُ الذي ينتفع به وإذا لم يجعلْ على الوجه الذي ينتفعُ به لم يُسمَّ عِوَضًا، والبَدلُ هو الشيء الموضوع مكان غيره لينتفع به أولًا، قال ابنُ دُرَيْد: الأَبْدالُ: جمع بديل مثل أشْراف وشَريف وفَنيق [2] وأفناق، وقد يكون البدلُ الخلف من الشيء، والبَدلُ عند النحويِّين مصدرٌ سُمِّي به الشيءُ الموضوع مكانَ آخر قبله جاريًا عليه حكمُ الأول، وقد يكون من جنسه وغير جنسه، ألَا ترى أنك تقولُ مررتُ برجل زيد فتجعل زيدًا بدلًا من رجل وزيد معرفة ورجل نكرة، والمعرفة من غير جنس النكرة.

«الفرق» بين تبديل الشيء والإتْيان بغيره أنَّ الإتْيانَ بغيره لا يقتضي رفعه بل يجوز بقاؤه معه، وتبديله لا يكون إلا برفعه ووضع آخر مكانه ولو كان تبديله والإتيانُ بغيره سَواء لم يكن

(١) العَوْض: يقال عَاضَهُ عَوْضًا عَوْضًا أي أعطاه إياه بدل ما ذهب منه، وعاوض فلانا بعوض في البيع والأخذ والإعطاء.

(٢) الفَنيق: الفنيقُ من الإبل: الفَحْل.

obeikandl.com

لقوله تعالى: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[يونس:١٥] فائدة وفيه كلامٌ كثيرٌ أَوْرَدْنَاه في تفسيرِ هذه السورة، وقال الفراء: يقال بَدَّلَهُ إذا غَيَّره وأَبْدَلَهُ جاء بِبدلِه.

«الفرق» بين العِوَضِ والثمن أن الثَّمن يُسْتَعْمَلُ فيما كان عَيْنًا أو وَرَقًا[1]، والعِوَضُ يكون من ذلك ومن غيره تقولُ أعطيتُ ثمن السلعة عَيْنًا أو ورقًا وأعطيت عوضها من ذلك أو من العوض وإذا قيل الثَّمن من غير العَيْن والورَق فهو على التَّشبيه.

«الفرق» بين القيمةِ والثَّمن أن القيمةَ هي المساويةُ لمقدارِ المثمّنِ من غير نُقْصَانٍ ولا زيادة، والثَّمنُ قد يكون بَخْسًا، وقد يكونُ وَفْقًا وزائدًا، والملك لا يدل على الثمن فكل ما له ثُمنٌ مملوكٌ وليسَ كُلّ مملوكٍ له ثمنٌ، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:٤١] فأدخل الباء في الآيات، وقال في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[يوسف:٢٠] فأدخل الباء في الثمن، قال الفراء: هذا لأن العروض كلها أنت مخيَّر في إدخال الباء فيها إن شئت قلت اشتريت بالثوب كِسَاء وإن شئت قلت اشتريت بالكساء ثوبًا أيهما جعلته ثمنًا لصاحبه جاز فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباءَ في الثمن لأن الدراهم أبدًا ثمن.

«الفرق» بين الشِّراء والاسْتِبْدَالِ أن كلَّ شراءٍ استبدالٌ وليسَ كُلُّ اسْتبدالٍ شراءً لأنه قد يستبدل الإنسانُ غلامًا بغلام وأجيرًا بأجير ولم يشترِهْ.

«الفرق» بين العذابِ والألم أن العَذَابَ أخصُّ من الألم وذلك أنَّ العذابَ هو الألم المستمر، والألم يكونُ مستمرًا وغير مستمر، أَلَا تَرى أن قَرْصَةَ البَعُوضِ ألمٌ وليس بعذاب، فإن استمر ذلك قلت عَذَّبني البعوضُ الليلةَ فكلّ عذابٍ ألمٌ وليس كلّ ألم عذابًا، وأصلُ الكلمةِ الاستمرارُ، ومنه يقال ماءٌ عَذْبٌ لاسْتِمراره في الحَلْقِ.

«الفرق» بين الألم والوَجعِ أن الوجَعَ أعمُّ من الألم تقول: آلمني زيدٌ بضربته إيَّاي وأوْجَعني بذلك، وتقولُ: أوجَعني ضربني ولا تقول آلمني ضَرْبَني، وكل ألم هو ما يلحق بك غيرك، والوجَعُ ما يُلحقُكَ من قِبَلِ نَفْسِكَ ومن قِبَلِ غَيْرِكَ ثم اسْتُعْمِلَ أحدُهما في موضِع الآخرِ.

«الفرق» بين الألم والوَصَب أن الوصبَ هو الألمُ الذي يلزم البدن لزومًا دائمًا ومنه يقال ولا واصبةً إذا كانت بعيدةً كأنها من شدّة بُعدها لا غايةَ لها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[النحل:٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[الصافات:٩].

«الفرق» بين العذابِ والعِقَاب أن العقَابَ ينبئُ عن استحقاقٍ وسُمّي بذلك لأنَّ الفاعلَ يستحقُّه عَقيب فِعْله، ويجوزُ أن يكونَ العذابُ مستحقًّا وغير مستحقٍّ، وأصل العقاب التلو، وهو تأديةٌ الأول إلى الثاني، يقال عقب الثاني الأول إذا تلاه وعَقَبَ الليلَ النهارَ، والليلُ والنهارُ هما عَقيبان وأعقبهُ بالغِبْطَةِ حَسْرة إذا أبدله بها وعقب باعتذار بعد إساءة وفي التنزيل:

---

(١) الوَرَق: بفتح الواو والراء: يُطْلَق على المال من دراهمَ وإبل وغير ذلك. ويقال: اختبط منه وَرَقًا: أصاب منه خيرا والوِرق بكسر الراء. الفضة مضروبةً كانت أو غير مضروبة

﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[النمل:١٠] أي لم يرجع بعد ذهابه تاليًا له مجيئه وفيه: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[الرعد:٤١] وتعقبتُ فلانًا تتبعتُ أمْرَهُ واستعقبتُ منه خيرًا وشرًّا أي استبدلتُ بالأول ما يتلُوه من الثاني، وتعاقبَا الأمْرَ تناوباه بما يتلو كلُّ واحدٍ منهما الآخر، وعاقبتُ اللصَّ بالقطع الذي يتلو سرقته، واعْتقبَ الرجُلانِ العقبة إذا ركبها كلُّ واحدٍ منهما على مناوبة الآخرِ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف:١٢٨] وعلى المجرمين لأنها تعقبُ المتقين خيرًا والمجرمين شرًّا كما تقول الدائرة لفلانٍ على فلانٍ.

«الفرق» بين البَلاء والنِّقْمة أن البلاءَ يكونُ ضررًا ويكون نَفْعًا وإذا أردتَ النفع قلت أبليتُه وفي القرآن: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾[الأنفال:١٧] ومن الضُّر بَلوتُهُ، وأصله أن تختبرَهُ بالمكْرُوه وتستخرج ما عنده من الصَّبْرِ به ويكونُ ذلك ابتداءً والنِّقْمة لا تكونُ إلا جزاءً وعقوبةً، وأصلُها شدة الإنْكَار، تقول: نَقَمْتُ عليه الأمر إذا أنكرته عليه وقد تسمَّى النقمةُ بلاءً والبلاء لا يسمَّى نقمة إذا كان ابتداءً والبَلاءُ أيضًا اسمٌ للنعمةِ، وفي كلام الأحنف البلاءُ ثم الثناءُ أي النعمة ثم الشكرُ.

«الفرق» بين قولك أنْكَرَ وبين قولك نَقَمَ أن قولكَ نَقَمَ أبْلغُ من قولك أنْكَرَ ومعنى نقمَ أنْكر إنْكَارَ المعاقبِ، ومن ثَمَّ سُمِّي العقابُ نقمةً.

«الفرق» بين العِقَابِ والانتقام أنَّ الانتقامَ سَلْبُ النعمة بالعذابِ، والعقابُ جزاءٌ على الجُرْمِ بالعذَابِ لأنَّ العقابَ نقيضُ الثوابِ والانتقامُ نَقيضُ الإنْعامِ.

«الفرق» بين الخوْفِ والحذَرِ والخَشْيةِ والفَزَعِ أنَّ الخوفَ توقُّعُ الضررِ المشكوكِ في وقوعه ومَنْ يتيقَّنُ الضررَ لم يكن خائفًا له وكذلك الرَّجَاء لا يكونُ إلَّا مع الشكِّ ومَنْ تيقَّن النَّفْعَ لم يكن راجيًا له، والحذرُ توقِّي الضَّررِ، وسواءٌ كان مظنونًا أو متيقنًا، والحذر يدفعُ الضَّرَرَ، والخوفُ لا يدفعه، ولهذا يقالُ خُذْ حذَرَك ولا يقال خُذْ خَوْفَكَ.

«الفرق» بين الحذَرِ والاحْتِرازِ أنَّ الاحْترازَ هو التحفُّظَ من الشيء الموجودِ، والحَذرُ هو التحفُّظ ما لم يكنْ إذا علم أنه يكون أو ظنَّ ذلك.

«الفرق» بين الخَوْفِ والخَشْيةِ أن الخوفَ يتعلقُ بالمكْروه وبترك المكْرُوهِ تقول: خفتُ زيدًا كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠] وتقول خفتُ المرضَ كما قال سبحانه: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[الرعد:٢١] والخَشْيَةُ تتعلقُ بمنزل المكْرُوه ولا يسمَّى الخوفُ من نفس المكْرُوه خشيةً ولهذا قال: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[طه:٩٤] فإن قيل: أليس قد قَال: ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾؟ قُلنا إنه خشي القولَ المؤدِّي إلى الفُرْقَة والمؤدِّي إلى الشيء بمنزلةِ مَنْ يفعلُه وقال بعضُ العلماء: يقالُ خَشيتُ زيدًا ولا يقالُ خشيتُ ذَهَاب زَيْدٍ فإن قيل ذلك فليس على الأصْل ولكن على وضْعِ الخشيةِ مكانَ الخَوْفِ، وقد يوضعُ الشَّيْءُ مكان الشَّيْءِ إذا قرب منه.

«الفرق» بين الخَشْيَةِ والشَّفَقةِ أن الشَّفقةَ ضَرْبٌ من الرقَّة وضَعْفِ القَلْبِ ينالُ الإنسانَ ومن ثم يقال للأم إنها تشفقُ على ولَدها؟ أي ترقُّ له ليْسَتْ هي من الخَشية والخوف في شيء، والشاهد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧] ولَوْ كانتِ الخشيةُ هي الشَّفَقَة لما حسن أن يقول ذلك لما لا يحسنُ أن يقول يخشون من خشية ربهم، ومن هذا الأصل قولهم ثَوْبٌ شَفَقٌ إذا كان رفيقًا، وشبهت به البدَاة لأنها حمرة ليست بالمحكمة فقولك: أشفقت من كذا معناه ضَعْفُ قَلْبِي عن احْتِمالِهِ.

«الفرق» بين الخَوْفِ والرَّهْبة أن الرهبةَ طولُ الخوفِ واستمرارُه، ومن ثم قيل للراهب راهبٌ لأنه يديمُ الخوف، والخوفُ أصله من قولهم جَمَلٌ رَهْبٌ إذا كان طويلَ العِظام مشبوحَ الخَلْق والرَّهابةُ العظم الذي على رأس المعدة يرجع إلى هذا، وقال علي بن عيسى: الرَّهْبة خوفٌ يقع على شريطة لا مخافة والشَّاهدُ أن نقيضَها الرغبة وهي السلامةُ من المخاوف مع حصولِ فائدة، والخوفُ مع الشكِّ بوقوع الضرر والرَّهْبةُ مع العلم به يقع على شريطة كذا، وإن لم تكن تلك الشريطة لم تَقَعْ.

«الفرق» بين التَّخْويفِ والإنْذَارِ أنَّ الإنْذَار تخويفٌ مع إعلام موضع المخافة من قولك نذرتُ بالشيء إذا علمته فاستعددتُ له فإذا خَوَّفَ الإنسانُ غَيْرَه وأعْلمه حالَ ما يخوِّفُه به فقد أنْذَرَهُ، وإنْ لَمْ يُعلمْهُ ذلك لم يُقُلْ أنْذَرهُ، والنذرُ ما يجعله الإنسانَ على نفسِه إذا سلم مما يخافُه، والإنْذَارُ إحْسَانٌ من المنذر، وكُلَّما كانتِ المخافةُ أشَدَّ كانت النعمةُ بالإنْذَارِ أعْظَمَ، ولهذا كان النبيُّ ﷺ أعْظَمَ الناسِ مِنَّةً بإنْذَارِهِ لهم عقابَ الله تعالى.

«الفرق» بين الإنْذَارِ والوصيَّةِ أنَّ الإنْذَارَ لا يكون إلا منك لغيرك وتكون الوصيةُ منك لنفْسِك ولغيْرِك تقول: أوصيتُ نَفْسِي كما تقول أوصيتُ غيري ولا تقول: أنْذَرتُ نفسي، والإنْذَارُ لا يكون إلا بالزَّجْر عن القبيح وما يعتقد المنذر قبحه. والوصيةُ تكون بالحَسَن، والقبيح لأنه يجوزُ أنْ يوصِي الرجُلُ الرَّجُلَ بفعْل القبيح كما يوصي بفعل الحسنِ ولا يجوز أن يُنْذِرَهُ إلَّا فيما هو قبيحٌ، وقيل النَّذارُة نقيضةُ البشارةِ وليستِ الوصيةُ نقيضَة البشارةِ.

«الفرق» بين الخَوْفِ والهلَعِ والفَزَعِ أن الفزعَ مفاجأةُ الخَوْفِ عند هجومِ غارَةٍ أو صَوْت هدَّة وما أشبهَ ذلك وهو انْزِعَاجُ القَلْب بتوقُّع مكْرُوهٍ عاجلٍ وتقول: فزعتُ منه فتعدِّيه بمن وخفته فتعديه بنفسه فمعنى خفته أي هو نفسه خوفي، ومعنى فزعتُ منه أي هو ابتداء فزعي؛ لأن من لابتداء الغية وهو يؤكد ما ذكرناه، وأمَّا الهَلَعُ فهو أسوأ الجزع، وقيل: الهلوع على ما فسره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج:٢٠-٢١] ولا يسمى هَلُوعًا حتَّى تجتمعَ فيه هذه الخِصالُ.

«الفرق» بين الخَوْفِ والهَوْل أن الهَوْل مخافةُ الشيء لا يدري على ما يقحم عليه منه كَهَوْلِ الليل

وهَوْلِ البحرِ. وقد هالني الشيء وهو هَائِلٌ ولا يقال: أمْرٌ مَهولٌ إلَّا أن الشاعرَ قال في بيت:

وَمَـهُـولٌ مِـن المَـنَـاهِـلِ وَحْـش ... ذِي عَـرَاقِـيـب آخِـر مَـدْقَـانِ[1]

وتفسير المهول أن فيه هَوْلًا، والعربُ إذا كان الشيء له يخرجونه على فاعل كقولهم دارع وإذا كان الشيء أنشيء فيه أخرجوه على مفعول مثل يجبُّون فيه ذلك ومَدْيُون عليه ذلك وهذا قول الخليل.

«الفرق» بين الخَوْفِ والوَجَلِ أن الخوفَ خلافُ الطمأنينة، وَجِلَ الرجلُ يُوجَلُ وجَلًا إذا قلقَ ولم يطمئن، ويقال: أنا من هذا على وَجَلٍ ومن ذلك على طمأنينة ولا يقال على خَوْفٍ في هذا الموضع. وفي القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] أي إذا ذُكِرَتْ عظمةُ الله وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدَّموه من الطاعة وظنُّوا أنهم مقصِّرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا فليس الوجلُ من الخوف في شيء، وخَافَ متعدٍّ ووجَلَ غير متعدٍّ وصيغتاهما مختلفتان أيضًا وذلك يدل على فرق بينهما في المعنى.

«الفرق» بين الاتِّقَاء والخَشْيَةِ أن في الاتِّقَاء معنى الاحتراسِ مما يخاف وليس ذلك في الخشية.

«الفرق» بين الخَوْفِ والبَأْسِ والبُؤْس، أنَّ البأْسَ يجري على العدة من السلاح وغيرها ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥] ويُسْتعملُ في موضع الخوف مجازًا فيقال: لَا بأْسَ عليك ولا بأس في هذا الفعل أي لا كَرَاهَة فيه.

«الفرق» بين الحِيرَة والدَّهْشِ أن الدَّهَش حيرةٌ مع تردُّدٍ، واضطراب ولا يكون إلا ظاهرًا ويجوز أن تكون الحيرةُ خافيةً كحيرة الإنْسَان بين أمْرَين تروى فيهما ولا يدري على أيّهما يقدم ولا يظهر حيرته ولا يجوزُ أن يدهش ولا يظهر دهشته.

«الفرق» بين الخَجَلِ والحَيَاءِ، أن الخَجَلَ معنى يظهر في الوجه لغم يلحق القلب عند ذهاب حجَّةٍ أو ظهور على ريبة وما أشبه ذلك فهو شيءٌ تتغير به الهيبة، والحياء هو الارتداع بقوة الحياء، ولهذا يقال فلانٌ يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال يخجل أن يفعله في هذه الال لأنَّ هيئته لا تغير منه قبل أن يفعله فالخجلُ مما كان والحياء مما يكون، وقد يستعملُ الحياءُ موضع الخجل توسعًا، وقال الأنباري: أصْلُ الخجل في اللغة الكَسَلُ والتَّواني وقِلَّة الحركة في طلب الرزق ثم كَثُرَ استعمال العرب له حتى أخْرجوه على معنى الانقطاع في الكلام، وفي الحديث: «إِذَا جُعْتُنَّ وقَعتُنَّ وإِذَا شَبِعْتُنَّ خَجَلْتُنَّ»[2] وقعتن أي ذَلَلْتُنَّ وخَجلْتُنَ: كَسَلْتُنَّ،

(١) عراقيب: جمع عُرقوب، وهو من الإنسان وتر غليظ فوق عقبه، ومن الدابة ما يكون في رجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها، ومن الطريق الضيِّق في جبل - ويطلق عرقوب على رجل من العمالقة يضرب به المثل من خُلف الوعد.

(٢) لم أعثر عليه

وقال أبو عبيدة: الخجل ههنا الأشر وقيل هو سوء احتمال العناء وقد جاء عن العرب الخَجَلُ بمعنى الدَّهش، قال الكُمَيْتُ:

فَلَمْ يَدْفَعُوا عِنْدَنَا مَا لَهُمْ   لِوَقْعِ الحُرُوبِ ولَمْ يَخْجَلُوا

أي لم يبقوا دَهشين مَبْهوتِين.

«الفرق» بين الرَّجَاء والطَّمَع أن الرَّجَاءَ هو الظَّنُّ بوقوع الخير الذي يَعْتَرِي صاحبه الشك فيه إلَّا أن ظنه فيه أغْلَبُ وليسَ هو مِنْ قبيل العلم، والشَّاهِدُ أنه لا يقال: أرْجُو أن يدخل النبيُّ الجنَّة لِكَوْنِ ذلك مُتيقَّنًا، ويقال: أرجُو أن يدخُلَ الجنة إذا لم يُعْلم ذلك. والرَّجاءُ: الأمَلُ في الخير، والخَشْيَةُ والخوفُ في الشَّرِّ لأنهما يكونان مع الشَّكِّ في المرجوِّ والمخوف ولا يكون الرجاءُ إلَّا عن سببٍ يَدْعو إليه من كَرَمِ المَرْجُوِّ أو ما به إليه، ويتعدَّى بنفسه: تقول: رجَوْتُ زيدًا، والمرادُ رجوتُ الخيرَ من زيدٍ لأنَّ الرَّجَاءَ لا يتعدَّى إلى أعْيانِ الرِّجَالِ. والطَّمعُ ما يكونُ من غير سببٍ يدعو إليه فإذا طمعتَ في الشيء فكأنَّكَ حدَّثْتَ نفْسَكَ به من غير أن يكونَ هُنَاكَ سببٌ يدعو إليه، ولهذا ذَمَّ الطَّمَع ولم يُذَمّ الرَّجَاء، والطَّمعُ يتعدَّى إلى المفعول بحرفٍ، فتقول طمعتُ فيه كما تقولُ فرقتُ منه وحذرتُ منه، واسم الفاعلِ طَمِعٌ مثل: حذِرٌ وفَرِقٌ ودَئِبٌ إذا جعلته كالنسبة وإذا بنيتَهُ على الفعل قلت طامِعٌ.

«الفرق» بين الوجَل والأمل أنَّ الأملَ رجاءٌ يستمر فلأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمر وطالَ: تأمُّلٌ، وأصله من الأمِيلِ وهو الرَّملُ المستطيلُ.

«الفرق» بين اليأْس والقَنُوط والخيبة أن القَنوطَ أشدُّ مبالغةً من اليأس وأمَّا الخيبةُ فلا تكونُ إلَّا بعد الأمل لأنها إمتاعُ نيل ما أمَل، فأمَّا اليأسُ فقد يكون قبل الأمَل وقد يكون بعده، والرَّجَاءُ واليأسُ نقيضَانِ يتعاقبانِ كتعاقُب الخيبة والظفر، والخائبُ المنقطع عما أمَل.

البَابُ العِشرُونَ

فِي الفَرْقِ بَيْنَ الكِبْرِ والتِّيه والجَبْرِيَّة والزَّهْو وبَيْنَ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مِنَ التَّذَلُّل والخضوع والخُشوع والهَوْن ومَا بِسَبِيل ذَلِكَ

«الفرق» بين الكِبْرِ والتِّيه أن الكِبْرَ هو إظْهَارُ عِظَمِ الشَّأْنِ وهو في صفاتِ الله تعالى مَدْحٌ لأنَّ شأنَهُ عظيمٌ، وفي صفاتنا ذَمٌّ لأنَّ شأننَا صغيرٌ وهوَ أهلٌ للعظمة، ولسْنَا لها بأهْلٍ، والشأنُ ههنا معنى صفاته التي هي في أعلى مراتب التعظيم ويستحيلُ مساواة الأصْغر له فيها على وجْهٍ من الوجُوه، والكبيرُ الشخص والكبير في السِّنِّ والكبيرُ في الشَّرفِ والعلم يمكن مساواة الصغير له، أما في السنِّ فبتضاعُفِ مُدَّة البقاء في الشخص تتضاعفُ أجزاؤه، وأما بالعلم فباكْتِسَابِ مثل ذلك العلم. والتِّيهُ أصله الحيرةُ والضَّلالُ وإنما سُمِّي المتكبرُ تائهًا على وجه